المؤتمر العلمي الدولي المتخصص في اللغة والأدب في دورته الثالثة
الموسوم بـــ(اللغة العربية حية بانتمائها نامية بجهود أبنائها)
كلية التربية أبوعيسى – قسم اللغة العربية – جامعة الزاوية – 2023م

الفكر البلاغي العربي وتحولات قراءته في الخطاب النقدي القديم

خطيطة محمد علي المبروك
قسم اللغة العربية كلية الآداب
جامعة سرت

الملخص

تميَّزَ الفكرُ البلاغيُّ العربيُّ بتحولاتٍ مستمرةٍ عبر الحقب الزمنية المتعاقبة، أسفرت عن حوار عقلي وثقافي زاخر، تفاعل فيه المفكرون العرب الأوائل مع من سبقهم من أبناء أمتهم العربية والإسلامية، ومع الثقافات الوافدة التي امتدت أثارها إليهم فأنتج هذا التفاعل الخلاق مفاهيم وتصورات واتجاهات متباينة، تكتنز بأبعاد لسانية وتداولية وثقافية.

من هنا يسعى البحث إلى متابعة بعض تلك التحولات الفكرية للتراث البلاغي العربي بوصفها إنتاجا فكريا بشريا متناميا، يرتبط بقدرات عقلية وأنساقٍ دينية وثقافية واجتماعية وسياسية احتضنته وحددت معالمه، بالعودة إلى البدايات الأولى التي مثلت الإرهاصات المبكرة للوعي البلاغي وتطورها من خلال التراكمات العلمية والاتجاهات والرؤى التي عبر عنها المفكرون، والتي تجاوزت حدودها الزمنية.

ويُعنى البحث بإشكالية العلاقة بين الخطاب النقدي القديم والفكر البلاغي، وتذهب المساعي إلى أبعد من ذلك، فترصد بعض نقاط التقائه وتقاربه مع مقولات النقد اللساني الحديث ، بالاستعانة بالمنهج الوصفي التحليلي في تتبع التصورات والأفكار البلاغية وقراءتها، للإجابة عن تساؤلات منها:

- ما المقصود بالفكر البلاغي؟
- ما ملامحه وما هي الأنساق الثقافية والدينية والسياسية والاجتماعية التي احتضنته؟
- ما أهم الأفكار التي أدت إلى تحوله؟
- وما أهم التصورات النقدية وآليات القراءة والتقويم؟

وللإجابة على هاته التساؤلات صُممَّ البحثُ على نحوٍ يضمُّ توطئةً للتعريفِ بمكوناتِ عنوان البحث (الفكر البلاغيّ العربي)، وثلاثةَ مباحثٍ هي:

المبحث الأول: إرهاصاتُ الوعي البلاغي (النشأة والنضوج).

المبحث الثاني: أنساقُ الفكر البلاغي العربي.

المبحث الثالث: التصوراتُ النقدية القديمة و الدرس اللساني.

وخاتمة تتضمن أهم نتائج البحث.

ولا ريب أن البحث في تراثنا البلاغي الزاخر بالأفكار والتصورات ليس يسيرا؛ لاتساعه وكثرة روافده التي امتاح منها كالعقيدة والفقه والأصول والمنطق، وارتباطه بالنقد الأدبي القديم وعلوم اللغة من نحو وصرف وأصوات، ويزداد الأمر صعوبة حين يكون البحث مشروطا بمساحة تحد الباحث؛ ولذلك اكتفت الباحثة بمتابعة تحولات الفكر البلاغي لدى خمسة أعلام من علماء النقد والبلاغة القدامى المشهورين وهم (الجاحظ وابن المعتز وابن سنان وعبد القاهر الجُرجاني وأبي يعقوب السكاكي).

توطئة

حريّ بنا بدايةً أن نحددَ مفهوم العنوان المنتخب لهذه الدراسة (لغة واصطلاحا) قبل استقصاء تجلياتها؛ لكي ترتسم الحدود والأطر بانضباط يبنى عليه منهج علمي للدراسة، و يتيسر لنا التحكم في المعرفة التي تروم المساعي بلوغها، ومن مكونات العنوان الفكر البلاغي، و **الفكر لغة:**

يُحدده لسان العرب بالآتي: "الفَكْرُ والفِكْرُ: إعمال الخاطر في الشيء؛ قال سيبويه: ولا يجمع الفِكْرُ ولا العِلمُ ولا النظرُ، قال: وقد حكى ابن دريد في جمعه أفكاراً..... التفكر: التأمل والاسم الفِكْرُ والفِكْرة، والمصدر الفَكْر [1]"، وورد معناه في القاموس المحيط، فهو: " الفِكْرُ: بالكسر إعمال النظر في الشَّيءِ، كالفِكْرَةِ والفِكرى، بكسرهما ج أفكارٌ....وما لي فيه فَكْر، وقد يكسرٌ، أي حاجةٌ[2].

ومنه نستشف أن الفكر هو إعمال الخاطر في الشيء والنظر فيه، فهو أداةُ التأملِ، وبالتالي هو المحتوى والمضمون الذي ينتجه ذلك التأمل والتفكر.

ووردت الكلمة في القرآن الكريم في مواضع عدة بمعنى التدبر والنظر، منها ما جاء بصيغة الفعل، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾[3] ﴿ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾[4]

الفكر اصطلاحا:

ويقترب معناه اللغوي من معناه الاصطلاحي العام والشائع؛ بتداخل معان منها الفكر بوصفه آلة التفكير و أداته التي تصدر عن فهم وتصوراتٍ ذهنية وعقلية، وبأنه محتوى ومضمون لجملة الآراء والأفكار التي تعبر عن الاهتمامات والمشاكل، وتنم عن المعتقدات والمذاهب والطموحات، وأنه يعبر عن"الإيديولوجيا بمعناها الواسع العام الذي يشمل الفكر السياسي والاجتماعي والفكر الفني والفلسفي والديني، ولا يخرج عن هذا المعنى العام للايدولوجيا إلا العلم، فالعلم كلي لا وطن له"[5] .

فالفكر بذلك عمل عقلي يتطلب خطوات ذهنية وإدراكية، وهو أيضاً ثمرةٌ ونتيجةٌ لتلك الخطوات الكشفية، وقد يعبر عن توجهات ومسالك وتيارات ومبادئ، "فهو أداة لإنتاج الأفكار سواء منها تلك التي تصنف داخل دائرة الايدولوجيا أو داخل دائرة العلم، أو هو أداة بمعنى أنه جملة مبادئ ومفاهيم وآليات تنتظمُ وتترسخُ في ذهن الطفل الصغير منذ ابتداء تفتحه على الحياة لتشكل فيما بعد العقل الذي يفكر، أي الجهاز الذي يفهم ويؤول ويحاكم ويعترض"[6]

من ذلك نصل إلى أن الفكر آليات ذهنية كاشفة، وفهم يسفر عن نتاج وتصوراتٍ وآراء ومفاهيم ونظريات. ويتخصص المدلول الذي تجلى حين يتحدد بالفكر البلاغي العربي، لتنقلنا دوال العنوان إلى معنى البلاغة.

و البلاغة لغة:جاء في لسان العرب بَلَغ الشيءُ يَبْلُغُ بُلُوغاً: وَصَلَ وانْتَهَى، وأَبْلَغَه هو إِبْلاغَا وبَلَّغَه تبْليغاً.... وتبلَّغَ بالشيءِ، وصَلَ إلى مُراده .... والبَلاغُ ما بَلغَكَ ... والبلاغُ: الكفِايةُ... وفي التنزيل: إلا بلاغا من الله ورسالاتِه، أي لا أجدُ منجى إلا أن أبَلِّغَ عن الله ما أُرْسِلْتُ به. والإِبلاغ : الإيصال.... وأمرٌ بالغ: جيد. والبلاغة: الفصاحةُ. والبَلغُ والبِلْغُ: البليغُ من الرجال. ورجل بَليغٌ وبلْغٌ: حسنُ الكلام فَصِيحهُ يبلغُ بعبارة لسانه كُنْهَ ما في قلبه، والجمع بُلغاءُ، وقد بَلُغَ بالضم، بلاغةً أي صار بَليغاً. وقولٌ بَليغٌ: بالغٌ وقد بَلُغَ.[7]

وفي القاموس المحيط بَلغَ المكانُ بُلوغاً: وَصَلَ إليه، أو شَارفَ عليه، .... وثَناءٌ أبْلغُ: مُبالغٌ فيه. وشيءٌ بالغُ: جيد ... والاسمُ من الإبلاغِ والتبليغ، وهما الإيصالُ، وفي الحديث: " كلٌّ رافعةٍ رَفَعتْ علينا من البلاغِ، أي: ما بَلَغَ من القرآن والسُّنن، أو المَعْنَى من ذوي البَلاغِ، أي التَّبْليغِ من بالَغَ مُبالغةً وبلاغاً: إذا اجْتَهَدَ و لم يُقَصِّر.[8]

" وسميت البلاغة بلاغة لأنها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه،...ويقال الدنيا بلاغ لأنها تؤديك إلى الآخرة، والبلاغ أيضاً التبليغ في قول الله عزّ وجلّ:﴿ هذا بلاغ للناس﴾ أي تبليغ، ويقال بلغ الرجل بلاغة إذا صار بليغاً"[9]

البلاغة في الاصطلاح:

مرَّ مصطلح البلاغة في تراثنا العربي بتطوراتٍ متعاقبة مناطها الفهم والسياق الثقافي السائد، وتبع ذلك اتساع دلالته حينا وتخصيصها حينا آخر، وجاء المصطلحُ متأخر الظهورِ، خاصة مع السكاكي المتوفى سنة 626هـ. وقد سُبق بمصطلح البيان الذي شمل علومَ البلاغة كافة، وعنى بكل ما يتحقق به التبليغ. وبأساليب تكونها، ودلَّ على الإفصاح والبيان والإقناع وقصد الحجة، و كانت تُطلق على الأدب نثره وشعره، يقول ابن المقفع:" اسم لمعان تجري في وجوه كثيرة، منها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون شعرا، ومنها ما يكون سجعاً، ومنها ما يكون خطبا وربما رسائل"[10]

وهي" كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه لتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة، ومعرض حسن"[11]. وبذلك لا يخرج معناها عن كونها صفة الكلام الذي يصب المعنى ويبلغه، وبالتالي فهو علم يدرس خصائص الكلام البليغ، ويُعرِّفها السكاكي (626هـ) في كتابه مفتاح العلوم فيقول: "هي بلوغُ المتكلمِ في تأدية المعاني حدّا له اختصاصٌ بتوفية خواصِّ التراكيب حقَّها، وإيرادُ التشبيه والمجاز والكناية على وجهها"[12].

ويقول صاحب الإيضاح: "للناس في تفسير الفصاحة والبلاغة أقوال مختلفة لم أجد- فيما بلغني منها- ما يصلح لتعريفهما به، ولا ما يشير إلى الفرق بين كون الموصوف بهما الكلام وكون الموصوف بهما المتكلم: فالأولى أن نقتصر على تلخيص القول فيهما بالاعتبارين فنقول: كل واحد منهما تقع صفة لمعنيين: أحدهما الكلام، كما في قولك" شاعر فصيح ،أو بليغ، وكاتب فصيح أو بليغ" والفصاحة خاصة تقع صفة للمفرد، فيقال " كلمة فصيحة، ولا يقال: كلمة بليغة"، أما فصاحة المفرد: فهي خُلُوصه من تنافر الحُروف والغرابة، ومخالفة القياس اللغويّ....أما فصاحة الكلام فهي خلوصه من: ضعف التأليف، وتنافر الكلمات، والتعقيد، مع فصاحتها....وأما فصاحة المتكلم فهي: ملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح....وأما بلاغة الكلام فهي: **مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته**، ومقتضى الحال مختلف؛ فإن مقامات الكلام متفاوتةٌ، فمقامُ التنكير يُباينُ مقامَ التعريف، ومقامُ الإطلاقِ يباينُ مقامَ التقييد، ومقامُ التقديمِ يباينُ مقامَ التأخيرِ، ومقامُ الذكرِ يباينُ مقامَ الحذفِ، ومقامُ القصر يباينُ مقامَ خلافه، ومقامُ الفصلِ يباينُ مقام الوَصْلِ، ومقامُ الإيجاز يباينُ مقامَ الإطناب والمساواة،وكذا خطابُ الذكيِّ يباينُ خطابَ الغبيِّ".[13]

و" البلاغة تختص بالكلام باعتبار دلالته على المعنى، ولا يوصف بها المفرد، ولا الكلام، مع قطع النظر عن المعنى، ولا المعنى مع قطع النظر عن اللفظ. فبلاغة الكلام: كون اللفظ الفصيح معبرا عن المعنى بحسب اقتضاء الوقت الحاضر، وبحسب حالة متعلق الكلام من الممدوح والمذموم وغيرهما"[14]

الفكر البلاغي العربي:

اتضح لدينا مما سبق أن معاني الفكر تتجلى في مفهومين الأول هو إعمال العقل للوصول إلى الحقائق، فهو آلة التفكير الذهني وأداته التي تنتجُ الأفكار، والثاني هو الإنتاج والرأي والتصور والنظرية، فهو من جانب إنساني عام يشترك فيه البشر كافة، ومن جانب آخر فرديٌّ يختص بفرد أو مجموعة أفراد ينتمون لمرجعيات ثقافية واجتماعية وسياسة، وتسهم في تشكل طرائق التفكير عوامل عدة منها تأثير الواقع المعاش والسياق الثقافي السائد، فيكتسب منها معالمه وأساليبه الخاصة، التي تعبرُ عن جماعةٍ أو شعبٍ معينٍ، فالتفكير العربي له خصوصية أنتجها تفاعل الإنسان العربي بالسياق الاجتماعي والديني والسياسي والثقافي المحيط. "فالفكر العربي هو أداة ومحتوى في آن واحد، أو بنية عقلية وبنية أيديولوجية "بالمعنى العام والواسع لكلمة أيديولوجية، الذي يشمل الفكر السياسي الاجتماعي والفكر الفني والفلسفي والديني، ولا يخرج عن هذا المعنى العام للايدولوجيا إلا العلم، فالعلم كلي لا وطن له"[15] والتفكير العلمي هو خطوات تهدف لكشف الحقائق وإثباتها وإنتاج معارف و نظريات متطورة من خلال تواصل الثقافات الإنسانية المختلفة وتفاعلها، وتتصدر البلاغةُ بمختلف مباحثها جملةً القضايا التي شغلت المفكرين العرب القدامى والمحدثين، فقد نشأت الفكرةُ البلاغيةُ وتطورت في أذهان المفكرين العرب بالإفادة من مصادر شتى، واستقرت بملامحها التي تعبر عن حضارتنا العربية والإسلامية من خلال المؤلفات البلاغية بمناهجها المتنوعة.

المبحث الأول: إرهاصات الوعي البلاغي (النشأة والنضوج)

اشتهرَ العربُ بالبلاغةِ والبيانِ، فهم أهلُ الفصاحةِ واللسن والأدب، يؤثرون الشعر ويُعد ديوانهم، ينقحون القصائد، ويعتنون باختيار ألفاظها ومعانيها، ويهتمون بالخطابة بمختلف ألوانها، وبإحسان الكلام والتفنن في تخير ألفاظه وسهولة مخارجه، وفصيح معانيه، وبيان دلالته وفحواه، وبرهان ذلك نزول القرآن على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بلسان عربي معجزة وحجة، وقف دونه كلٌّ ذي بصرٍ محكم بالمعاني والألفاظ وصون الكلام وتحبيره وتجويده من العرب؛ يقول تعالى:﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا علة عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين﴾ [16]

لهذا اضطلعت البلاغة العربية بعد الإسلام بجانبٍ كبيرٍ من تفكير أعلام العربية، واتجهت صوبها جهودُ النحويين وأربابُ اللغةِ لفتراتٍ تاريخيةٍ واسعةٍ وممتدة، تشكلت فيها المنظومةُ المعرفيةُ المتكاملةُ، وازدهر التقعيدُ اللغويُّ والتأليفُ النحويُّ، وصُنِّفَت المصنفاتُ بغيةَ تقويم اللسان وعصمه عن الوقوع في الزلل، خاصة بعد دخول الأعاجم الإسلام واختلاط العرب بهم، وتغير الذوقُ متأثرا

بالسياق الحضاري والسياق السياسيّ، حيثُ أصبحَ الوصولُ إلى البراعةِ في البيان والبلاغة فضلا وسبيلا للمناصب السيادية، فكان للشعراء والخطباء مكانة سامقة لدى الخلفاء، ينضاف إلى ذلك ما استشعره النحويون من الحاجة لفهم مكامن إعجاز القرآن وأسرار بلاغته.

وتحيلنا البدايات الأولى التي أسهمت في تأسيس الفكر البلاغي العربي إلى **الجاحظ** بفكره الثاقب، وما أُثِرَ عنه من ملاحظات تنمُّ عن عقلٍ منظمٍ واع في كتابه (البيان والتبيين) الذي خصص جانبا كبيرا منه للبلاغة ومصطلحاتها، فجمع تعريفات البلاغة من منظور عربي، تدل على إدراكٍ بفضل البيان، وعلوٍّ لكعب صاحبه، من مثل تعريف صُحار العبدي الذي راع معاوية بن سفيان بخطابته فسأله: ما تَعُدُّون البلاغة فيكم؟ قال الإيجاز، فقال له معاوية: وما الإيجاز؟ قال صَّحار: أن تجيب فلا تُبْطئ وتقول فلا تُخْطئ"[17]، كما قدَّمَ الجاحظُ تصورا جامعا لمفهوم البلاغة ينفتح على الثقافة اليونانية، ويستحضر حد البلاغة برواية على لسان متحدث هندي،" قيل للفارسي: ما البلاغة؟ قال: معرفة الفَصل من الوصل، وقيل لليونانيّ: ما البلاغة؟ قال: تصحيح الأقسام، واختيار الكَلام، وقيل للرومي: ما البلاغة؟ قال: حسن الاقتضاب عند البداهة، والغزارة يوم الإطالة، وقيل للهنديّ: ما البلاغة؟ قال: وضُوح الدّلالة، وانتهاز الفرصة، وحسن الإشارة، وقال بعضُ أهل الهند: جِمَاعُ البلاغة البصر بالحجة، والمعرفة بمواضع الفرصة، ثم قال: ومن البصر بالحجة، والمعرفِة بمواضع الُفرصة، أن تدع الإفصاح إلى الكناية عنها، إذا كان الإفصاحُ أوعر طريقةً، وربما كان الإضرابُ عنها صفحاً أبلَغَ في الدرك، وأحق بالظَّفَر، قال: وقال مرةً: جماع البلاغة التماس حُسن الموقع، والمعرفُة بساعات القول، وقلة الخَرقِ بما التبس من المعاني أو غَمض، وبما شرد عليك من اللّفْظ أو تعذّر، ثم قال: وزينُ ذلك كلّه، وبهاؤُه وحلاوتهُ "[18].

ثم تحوَّل التفكير البلاغي بتحول الذائقة الأدبية، الناتج عن امتداد الزمنِ وما فرضته الحضاراتُ الجديدةُ من تطور للحياة الثقافية، فقد اختلف تفاعلُ الناسِ مع بعض القضايا التي اعتملت في واقعهم، ما أسفرَ عن جدلٍ واختلافٍ وانقسام وتمذهب، و حظي ذلك الجدل باهتمام العلماء والأدباء وأرباب البلاغة، وألِّفت حوله المؤلفات، ومن القضايا المهمة التي برزت آنذاك قضية القديم والحديث، وهي ظاهرة تتعلق بما أتى به الشعراءُ المحدثون في العصر العباسي من ألوان البديع والتصنع، وظهور تيار محافظ يدافع عن القديم ويرفض الجديد، ويأنفُ عن الاحتجاج به ويُعدُّه مولدا، يقابله تيار مجدد تشرب روح العصر الزاخرة بنقل ألوان المعارف الجديدة، والفلسفة والمنطق، فأثرَّ ذلك في تثقيف أفكاره، وتنظيم خياله فناهض القديم، ودعا إلى التجديد اللفظي والمعنوي، والإبداع في التوليد، ودارت بينهما خصومةٌ انقسم إثرها ذوو السلطان والعلماء والأدباء والشعراء والنقاد إلى فريقين

مختلفين، أحدهما نَاصَرَ القديمَ، والآخر استحسنَ الجديدَ المولد. وترددت أصداءُ ذلك الانقسام في مؤلفات القرن الثاني والثالث بجلاءٍ، وكان ذلك الأفق الثقافي حافزا ومؤثرا في تأليف كتب كثيرة من مثل كتاب البديع **لعبد الله بن المعتز**(ت296هـ \ 908م)، حيث بني منهجه على فكرة تحسين الكلام والشعر، و أنبرى إلى تقصي محاسن الكلام وبيان مزايا الفنون البديعية وإسهامها في ذلك الحُسْن، يقول:" " نذكر بعض محاسن الكلام والشعر، ومحاسِنُها كثيرة لا ينبغي للعالِم أن يدَّعِي الإحاطة بها حتى يتبرأ من شذوذ بعضها عن علمه وذكره"[19] وبقول في موضع أخر: " قدمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن واللغة وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم وأشعار المتقدمين من الكلام الذي سمَّاه المحدثون البديع"[20]، وبتحديد مقاصده وغايته يُعَدُّ الكتاب منطلقا وتحولا بالفكر البلاغي واستقلالا لعلوم البلاغة وتمايزا لها عن بقية العلوم، وهو ما يؤكده قائلاً: " وما جمع قبلي فنون البديع أحد ولا سبقني إلى تأليفه مؤلف"[21] ، فانتقل الكاتب والكتاب بالدرس البلاغي انتقالا واسعا، وجاء خالصاً لتأليف البلاغة وترسم حدود فن البديع، فجمع بين دفتيه فنونا بديعية بلاغية شتى، والتحمت أفكار ابن المعتز بما كان في عصره من ثقافة وجدل عقلي، فبرز لديه وعيٌّ تجاه فكرة ألحت على العقل العربي آنذاك، فصدَّر كتابه بعنوانِ (البديع) الذي منح المتنَ هويةً رسمية، وكان انتخابه إعلانا واعترافا صريحا يحيل إلى قضية نقدية بعينها لذلك العهد، وهي (مذهب البديع) التي شاعت وكانت خصومة لها أنصار ومعارضون، ولعلها كانت باعثا استحث ابن المعتز ليدلي بدلوه حولها بدقة وإنصاف ويختط لها الحدود ويضع الدلائل، وبين أن فن البديع ليس مستحدثا ولا مبتكرا وإنما هو فن أصيل راسخ أجاده القدامى، وعاب الإفراط فيه لدى المحدثين، يقول:" وليعلم أن بشارًا ومسلماً وأبا نواس ومن تقيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن، ولكن كثر في أشعارهم فعرف في زمانهم، حتى سُمي بهذا الاسم ثم أكثر حبيب بن أوس الطائي منه، فأحسن في بعض وأساء في بعض، وتلك عقبى الإفراط، وإنما كان يقول الشاعر من هذا الفن البيت والبيتين في القصيدة، وربما قرئت من شعر أحدهم قصائد من غير أن يوجد فيها بيت بديع، وإنما غرضنا من هذا الكتاب تعريف الناس أن المحدثين لم يسبقوا إلى شيء من ألوان البديع" ، ومعنى البديع يشير إلى أفنان القول و الأساليب الجديدة المكتنزة بالمعاني والصور والأخيلة وزخرف الألفاظ والمحسنات البديعية، التي تشفُّ عن حياة الحضارة والعلوم والطب والفلسفة، وربما حمل العنوان بذلك الكثير من معناه اللغوي وهو "إنشاء الشيء وبدايته"، فيكون المراد به الجديد إنشائه من الأساليب والصياغة الأدبية المستحدثة والطرفية، إلى جانب معناه الأدبي فقد أُطلِقَ لفظ البديع على(وجوه البلاغة كلها)، وهو ما أشار إليه الجاحظ – قبلا– بقوله: " **إن البديع مقصور على العرب ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة وأربت**

على كل لسان"، و لم يتحدد مصطلح البديع قبل هذا الكتاب، فهو من أوائل المصنفات المتخصصة في البحث عن مزايا البديع البلاغية وتصنيف فنونه وبيان حدوده معززة بالشواهد والدلائل البينة، وإن لم يحصر المحسنات البديعية فقط، فقد ضم إليها فنونا أخرى من مثل الاستعارة التي بدأ بها ضمن خمسة أنواع عدها أصولا للبديع، جمعها وقد كانت متفرقة في كتب من سبقه، من مثل الشافعي وأبي عبيدة والجاحظ وثعلب، فكان جمعه وتصنيفه فتحا للكثيرين من بعده أمثال قدامة بن جعفر في " نقد الشعر" والآمدي في "الموازنة بين الطائيين" وأبو هلال العسكري في " الصناعتين"، وابن رشيق القيرواني في " العمدة" وغيرهم.

ويُقرأُ انعطافٌ بّيّنٌ للفكر البلاغي نحو العلمية في المنهج والتأليف في كتاب سر الفصاحة **لأبي محمد عبد الله بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي**، الذي أخلص جهده وأعمل فكره في تحليل النصوص ليكشف عن سر مصطلح الفصاحة وحدوده مميزا بينه وبين البلاغة، باستقصاء شروطه، واستيضاح معاييره، معزز بالأدلة وقراءة الشواهد قراءة قائمة على النقد العلمي المتزن، مستفيدا في ذلك من أفكار سابقيه ومعاصريه من العلماء وأرباب اللغة، بعد عكوف واطلاع واسع على مؤلفاتهم، واستقراء لآرائهم الواردة في كتبهم من مثل البيان والتبيين للجاحظ والموازنة بين الطائيين للآمدي، والصناعتين لأبي هلال العسكري، تأملَ المأثورَ عنهم، وأحاط بمفهوميّ الفصاحة والبلاغة لديهم، وقدَّم رأيه جليا، ونقل بعض آراء العلماء، ووقف ناقدا إزاء بعضها، ووافقها تارة، ورد على بعضها وخالفها تارة أخرى.

ولعل عنوان الكتاب يُنبأ عن متنه، ويخبر بأنه كتاب يُعنى بالبلاغة ويختص بالفصاحة، والنظر إلى مكونه الأول كلمة (سر) يحيلنا إلى السياق الثقافي للكتاب ويستحضر الخلاف الذي استعر في عصر الكاتب حول بعض المفاهيم، ومنها مفهوم الفصاحة، التي غدت كالسرَّ يثيرُ القرائح ويشحذُ الهمم للوصول إلى كنهه، فيدلي كلٌّ بدلوه، وقد تختلف وجهات النظر لديهم فيضطربُ المفهومُ ويستغلقُ المعنى، أما مكونه الثاني: (الفصاحة) فيشير إلى الوضوح، ولمفهوم الفصاحة حضور كثيف في الأوساط الثقافية لذلك العهد، فقد أولاه النقاد وعلماء اللغة وآدابها عنايةَ واهتماما؛ وذلك في إطار اهتمامهم بإجادة التعبير وحسن الخطاب وعرض الأفكار، والكشف عن وجوه الإعجاز، فحملت الكلمةُ معانيَ متنوعة بتعاقب الحقب الزمانية، قبل أن تستوي مصطلحاً بلاغياً، حيث أطلقت لدى بعض اللغويين على العرب الناطقين بالعربية نطقا سليما خلوا من الزلل بالسليقة المطبوعة والموثوق بعروبتهم من فقيل (العرب الفصحاء)[22]

كما أُطلقت الفصاحة على لغة القرآن الكريم " وقال ابن خالويه في شرح الفصيح: أجمع الناس جميعاً أن اللغة إذا وردت في القرآن فهي أفصح مما في غير القرآن لا خلاف في ذلك"[23] واختلف مدلول الفصاحة نظرا لاختلاف مستوى استعمال اللغة العربية في البيئات الثقافية والاجتماعية بين بيئة البدو المطبوعة لغتهم بالسلامة والانضباط بأصول الإعراب، وبيئة الحواضر الهجينة التي خالط فيها العرب غيرهم من الأمصار من مثل الفرس والروم فاختلطت ألسنتهم وتداخلت لغتهم باللغة العربية، وبيئة المفسرين والنحويين وأرباب اللغة والشعراء والمثقفين التي اختصت بلغة القرآن الكريم ولغة الفنون الأدبية؛ وهو ما عناه ابن سنان بقوله:" فإني لما رأيت الناس مختلفين في مائية الفصاحة وحقيقتها أودعت كتابي هذا طرفا من شأنها، وجملة من بيانها، وقربت ذلك على الناظر، وأوضحته للمتأمل" [24]

وبتحديده للفصاحة يتجه بمفهومها صوبَ لغةِ البدو والسليقة العربية السليمة، متفقا في ذلك مع النحاة واللغويين. فضلا عن إدراكه لأهمية العلم بالفصاحة وعظيم خطره لطلاب العلم، ونظم الكلام على اختلاف تأليفه وإنشائه أو الحكم عليه ونقده، فأفصح عن الباعث وراء تأليفه قائلاً :" اعلم أن الغرض بهذا الكتاب معرفة حقيقة الفصاحة، والعلم بسرها"؛ لذلك أعمل فكره للعلم بسرها ومعرفة حقيقتها، وأخذ يعرض أفكاره منتظمة مرتبة بأسلوب علمي رصين مدججة بالشواهد والعلل، ليبين أن الفصاحة هي الظهور والبيان موافقا في ذلك معاني معاجم اللغة، وقسمها إلى قسمين قسم يختص بالألفاظ المفردة، وله ثمانية شروط، جُلها شروط وضعها اللغويون قبله، وفصاحة التراكيب وهي تجنب التكرار، أما التأليف لديه ضربان ضرب متلائم، ومنه تأليف القرآن الكريم وفصيح العرب، وضرب متنافر.

أثمر السياقُ الثقافيُّ الزاخرُ بالإنتاجِ الضخمِ، نشاطَ حركة التأليف اللغويّ والنحويّ، واهتمامَ اللغويين بجمع الشعر وشرحه وتنقيحه وضبط معانيه وتأليف المعاجم، وعنايةَ النحويين بتقعيد اللغة وشرح مفرداتها وقياس الاشتقاق والإعراب، وضمت المؤلفاتُ والكتبُ في تضاعيفها إشاراتٍ وملاحظاتٍ بلاغية، أنارت الدرب لكثير من العلماء من مثل **عبد القاهر الجُرجاني** الذي تحول بأفكاره الدرسُ البلاغي نحو التحليل العلمي واستنباط القواعد، والغوص في أسرار الإعجاز، والكشف عن دلائل البلاغة القرآنية المعجِزة؛ فقد جمع في كتابيه أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز بين القيمة البلاغية الجمالية والقيمة النحوية لعلاقات التراكيب وتأدية المعاني، فجاءت تطبيقاته فنية ذات وجهين نحوي وبلاغي، وخاصة نظريته حول النظم، التي تعد طرحا علميا جديدا بتواشج علم النحو وقضاياه بعلم المعاني وتفسيراته، وقراءة أساليب كلام العرب والتعرف على أسرار جريانه في أنظمة تعبيرية متنوعة، وهو ما استدعى التأويل وتجاوز معايير النحو لفهم المعاني.

كما خطى الفكرُ البلاغيُّ خطواتٍ بعيدةً على يدِ **السكاكي** في كتابه مفتاح العلوم، فقد صاغ بفكر مستنير وقدرات منطقية في القسم الثالث من كتابه علوم البلاغة متبعا البحث المنطقي في الحد والاستدلال، مؤكدا على ضرورة معرفة المنطق لمن يتصدى للبلاغة بقوله: "تتبع تراكيب الكلام الاستدلالي ومعرفة خواصها، مما يلزم صاحب علم المعاني والبيان"[25] وانتهج السكاكي تقسيما علميا منضبطا لفنون البلاغة إلى أبواب وفصول، ووضع لها الحدود المركزة والقواعد المحددة، وصنف مسائلها إلى معان وبيان وملحقاتها من الفصاحة والبلاغة ، وجعل البديع متمما لهما، ويرى تمّام حسّان أن هذا التقسيم شبيه بالبناء المتكامل، وفي ذلك يقول: "**فإذا عنى علم المعاني بإقامة الصرح، وعنى البيان بتقديم اللبنات ومواد البناء، فإن علم البديع يعنى بطلاء المبنى وزخرفه** "وافتتح السكاكي الحديث عنهما بمقدمة ضمنها حدود علمي المعاني والبيان، فحد علم المعاني بقوله:"هو تتبع خواص تركيب الكلام في الإفادة، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره"[26] ، وعرف علم البيان بقوله: "هو معرفة بإيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة فيل وضوح الدلالة عليها، وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه"[27].

فاستأثر باهتمام وعناية العلماء، وعكفوا على دراسته وشرحه وتلخيصه، ومنهم القزويني الذي اهتم بإنتاج بلاغة تعليمية تجلت "تلخيص المفتاح"؛ حيث اقتصر على تلخيص الجانب المختص بعلمي المعاني والبيان (ويدخل البديع لدى السكاكي ضمنهما ولا يعتبره قسما ثالثا)، وفُصِلَ علمُ البديع لدى المتأخرين من شراح التلخيص، وأغفل القزويني الأقسام الأخرى (الصرف – النحو – الاستدلال – العروض).

ويمرُّ الفكر البلاغي العربي بعد السكاكي بفترةٍ زمانيةٍ اكتفى فيها العلماء بالشروح والتلخيصات التعليمية، فانصبَّت الدراساتُ علي القسم الثالث من كتاب مفتاح العلوم كتاب، ومنها تلخيص المفتاح، والإيضاح في شرح هذا التلخيص للقزويني، واتجه الدارسون إلى هذين الكتابين إما شرحا (شروح التلخيص للتفتزاني، وابن يعقوب، والسبكي، وغيرهم)، أو تلخيصا (تلاخيص التلخيص العديدة مثل لطيف المعاني، وتحفة المعاني، والمسالك، وأنبوب البلاغة)، أو نظما (مثل الألفية الوردية، الألفية في المعاني والبيان، مفتاح التلخيص أو عقود الجمان في المعاني والبيان، الجوهر المكنون، وغيرها.

المبحث الثاني: أنساق الفكر البلاغي العربي

جاء معنى النسق في معجم لسان العرب أنه: مَا كَانَ عَلَى طَرِيقَةِ نِظَامٍ وَاحِدٍ، عَامٌّ فِي الْأَشْيَاءِ، وَقَدْ نَسَّقْتُهُ تَنْسِيقًا، وَيُخَفَّفُ. ابْنُ سِيدَهْ: نَسَقَ الشَّيْءَ يَنْسُقُهُ نَسْقًا وَنَسَّقَهُ نَظَّمَهُ عَلَى السَّوَاءِ، وَانْتَسَقَ هُوَ وَتَنَاسَقَ، وَالِاسْمُ النَّسَقُ، وَقَدِ انْتَسَقَتْ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ أَيْ تَنَسَّقَتْ. وَالنَّحْوِيُّونَ يُسَمُّونَ حُرُوفَ الْعَطْفِ حُرُوفَ النَّسَقِ لِأَنَّ الشَّيْءَ إِذَا عَطَفْتَ عَلَيْهِ شَيْئًا بَعْدَهُ جَرَى مَجْرًى وَاحِدًا. وَرُوِيَ عَنْ عُمَرَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – أَنَّهُ قَالَ: نَاسِقُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، قَالَ شَمِرٌ: مَعْنَى نَاسِقُوا تَابِعُوا وَوَاتِرُوا. يُقَالُ: نَاسَقَ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ أَيْ تَابَعَ بَيْنَهُمَا. وَثَغْرٌ نَسَقٌ إِذَا كَانَتِ الْأَسْنَانُ مُسْتَوِيَةً. وَنَسَقُ الْأَسْنَانِ: انْتِظَامُهَا فِي النِّبْتَةِ وَحُسْنِ تَرْكِيبِهَا. وَالنَّسْقُ: الْعَطْفُ عَلَى الْأَوَّلِ ، وَالْفِعْلُ كَالْفِعْلِ. وَثَغْرٌ نَسَقٌ وَخَرَزٌ نَسَقٌ أَيْ مُنْتَظِمٌ، قَالَ أَبُو زُبَيْدٍ؛

بِجِيدٍ رِيمٍ كَرِيمٍ زَانَهُ نَسَقٌ يَكَادُ يُلْهِبُهُ الْيَاقُوتُ إِلْهَابَا

وَالتَّنْسِيقُ: التَّنْظِيمُ. وَالنَّسَقُ: مَا جَاءَ مِنَ الْكَلَامِ عَلَى نِظَامٍ وَاحِدٍ ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ لِطَوَارِ الْحَبْلِ إِذَا امْتَدَّ مُسْتَوِيًا: خُذْ عَلَى هَذَا النَّسَقِ أَيْ عَلَى هَذَا الطَّوَارِ، وَالْكَلَامُ إِذَا كَانَ مُسَجَّعًا، قِيلَ: لَهُ نَسَقٌ حَسَنٌ. ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: أَنْسَقَ الرَّجُلُ إِذَا تَكَلَّمَ سَجْعًا. وَالنَّسَقُ: كَوَاكِبُ مُصْطَفَّةٌ خَلْفَ الثُّرَيَّا ، يُقَالُ لَهَا الْفُرُودُ. وَيُقَالُ: رَأَيْتُ نَسَقًا مِنَ الرِّجَالِ وَالْمَتَاعِ أَيْ بَعْضَهَا إِلَى جَنْبِ بَعْضٍ، قَالَ الشَّاعِرُ؛ مُسْتَوْسِقَاتٍ عَصَبًا وَنَسَقَا وَالنَّسْقُ، بِالتَّسْكِينِ: مَصْدَرُ نَسَقْتُ الْكَلَامَ إِذَا عَطَفْتَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ ، وَيُقَالُ: نَسَقْتُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ وَنَاسَقْتُ.[28]

و تعدد المفهوم الاصطلاحي للنسق بتعدد حقول المعرفة، فتداخل في حقل اللسانيات بمفهوم البنية، وقُسِّم في السيميائية إلى أنساق لفظية وغير لفظية، وشكل أحد المفاهيم الأساسية والمركزية في النقد الثقافي، بوصفه دلالة فاعلة ومؤثرة في ثقافات الشعوب، وفي تشكيل الذات الثقافية للأمم، ويحمل الخطاب الأدبي قيما ودلالات نسقية متباينة، بعضها أنساق جمالية معلنة، يمكن أن ننظر فيها بوصفها إشارات مظهرة لخلفيات ثقافية مضمرة. [29] وهو ما يمكننا اعتماده بالنظر إلى طبيعة العلاقة بين الأنساق الثقافية و التفكير البلاغي، ومدى حضور النسق الثقافي وتمثله في تراثنا البلاغي، فثمة أنساقٌ راسخة في الوعي الجمعي العربي لها حضور كبير، أسهمت في تباين أفكار علماء البلاغة، وتعدد تصوراتهم وتوجيه مقاصدهم، وتحولات آرائهم في مستويات، منها نسق اتصل بالخطاب وصياغة المفاهيم واختيار التعريفات، وطرق بسط المسائل البلاغية التي شغلت اهتمام علمائنا القدامى، و نسق اتصل بمضامين الخطاب و المقاصد، مسئول عن توجيه علماء البلاغة العربية نحو القضايا التي استأثرت باهتمامهم، وارتبطت هذه الأنساق الثقافية بالسياق الاجتماعي، والسياق الديني الاعتقادي، والسياق الثقافي الأدبي.

النسق الديني:

إن تطور الفكر البلاغي العربي، بعد ظهور الإسلام ونزول القرآن بلسان عـــربي مـــبين، وظهور الخصومات السياسية والعقائدية كالخوارج والشيعة والزيدية والأمويين وغيرهم يُجلي عن نسق ديني حرك العقول وأثارها، فأنتج جدلا وصراعا عقدي أداته اللغة والبيان والفصاحة وتسخير البلاغة لحل الصراعات الدينية والعقدية، فقد توج القرآن الكريم البلاغة العربية، وشغل بإعجازه كثيرا مـــن علماء العربية فاتجهوا لتدبر أسرار ذلك الإعجاز ومكامنه، والبحث عن مزيته وتنزيهه عن كل شبهة، بالرد على الملحدين والطاعنين و المتأولين للآيات الكريمات خاصة المتشابهة منها، والقائلين بالصـــرفة، وتباينت مناهجهم تبعا لتباين المقاصد و المنطلقات، فأضاءت جهودهم المسالك للباحثين، وهـــو مـــا خبرنا عنه ابن قتيبة بقوله:" وقد اعترض كتاب الله بالطعن ملحدون ولغوا وهجروا، واتبعوا ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله بأفهام كليلة، وأبصار عليلة، ونظر منحول فحرفوا الكلام عن مواضعه، وعدلوا عن سبله، وقد قضوا عليه بالتناقض والاستحالة في اللغة وفساد النظم والاختلاف، وأدلـــوا في ذلك بعلل ربما أمالت الضعيف الغمر، والحدث الغر، واعترضت بالشـــبهة في القلـــوب، وقـــدحت بالشكوك في الصدور فأجبتُ أن أنضحَ عن كتاب الله"[30] وقد استدعى هذا الخصام العقدي والمذهبي اهتماما باللغة والبيان، باعتمادهما أداة حجاجية ناجعة توجه أفكار الخصوم بالإقناع والتأثير، وفي ظل سياق يتسم بحرية العقل انبثقت أفكار تأسس بتراكمها علم البلاغة، فقد احتشدت فرق المتكلمين من مثل المعتزلة و الأشاعرة للذود عن الدين الإسلامي والنص القرآني مستنيرين بفكر حر عميق نهل مـــن روافد عربية وأجنبية، وظهر حرصهم على امتلاك اللغة وتشبعهم بالموروث الثقافي العربي، واطلاعهم على ثقافات الشعوب الأخرى وتمكنهم من الأدوات المنطقية وأبواب من فنون الجـــدل والفلســـفة ؛ فالبلاغة ضالتهم المنشودة والمعين لهم في جدلهم ودفاعهم عن إعجاز القـــرآن الكـــريم والـــرد علـــى خصومهم؛ وبذلك فُتحت أبواب واسعة لفنون بلاغية شتى، وامتدت فأخذت تحلـــيلاتهم تتـــراكم و تنحو إلى التنظير والعلمية فكان لها أثر بالغ في تنامي الفكر البلاغي، وبذلك كان حضور النسق الديني موجه للبحث البلاغي في مجال العقيدة، وتوظيف الفرق الكلامية والطوائف المذهبية للظواهر البلاغيـــة في الدفاع عن النص القرآني والرد على من طعنوا عليه بأنه يشتمل على التناقض والاختلاف وفســـاد النظم.

النسق الاجتماعي:

تُجْلِي اتجاهاتُ التفكير البلاغيّ عن نسق اجتماعي أدبي ضارب منذ القدم تشربته عقـــول الباحثين، فقد نزع العرب بالفطرة إلى البيان والاقتدار على صوغ الكلام وتصريفه، وهـــم يفخـــرون

بذلك كل الفخر ويعتزون، وتتفوق قبائلهم، فالثقافة العربية تُعلي من شأن العربي الذي يتسم بالفصاحة، فيرتفع كعبه ويسود عشيرته وقومه، فالبيان شرط من شروط السيادة لذا تنافس عليه العرب، فثقفوا ألسنتهم على قرض الشعر وإتقان بنيته وإحكام قوافيه واقتحام الخطابة، "وكانت العرب تسود على أشياء.... **وكان أهل الجاهلية لا يسودون إلا من تكاملت فيه ست خصال، السخاء والنجدة والحلم والتواضع والبيان"**[31]. **و كان الحرص على كل ما يسير بهم نحو تمام** الفصاحة والبلاغة، بالعناية بالتكوين الأدبي والتمرين على صناعة الجيد من الكلام، وتنمية الذوق بتحديد الأدب أداة للإبداع، وتنامت عناية العرب بالفصاحة والبلاغة بعد ظهور الإسلام بجريان قراءة القرآن وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم على كل لسان، وقد عُرف عن الرسول عليه الصلاة والسلام والصحابة أنهم كانوا يحرصون على تخير الألفاظ، والعلم بأماكن وصل الكلام وفصله، ومعرفة مقاطعه، وتمييز فقره، وإيضاح معانيه، وسهولة عباراته، كما ساعد في نمو الملاحظات البيانية الفتوحات الكبرى واستقرار العرب وتحضرهم، وامتزاجهم بغيرهم ممن اعتنقوا الإسلام وسلكوا طرائق العرب في كلامهم بالتعلم والتدريب لقصور فطرتهم؛ فبرز اهتمام بالمباحث المتعلِّقة بزخرف الكلام وترتيبه، واختيار الألفاظ والمعاني والصور وتحديد قواعِد جمالية لبناء النُّصوص؛ واستنباط المقاييس البلاغية، بالوقوف على الشواهد في الشعر والخطب والرسائل، والاحتذاء بها في معرفة حسن بلاغة الكلام. فضلا عن نقل العلوم من الأمم الأخرى في الأمصار الجديدة، فقد كانت هذه الأمم تتقن معارف العقلية وعلوم لم يكن للعرب عهد بها، مثل الفلسفة والمنطق اليونانيين، ، فأثرَّ ذلك في تثقيف أفكار الشعراء وتنظيم خيالاتهم، وأحدث تحولات كبيرة في مناهج التفكير العربي، تجلت في الجدل والحوار و التحليل العميق، الذي طبع معظم المصنفات و العلوم التي صنفها المسلمون، ولا ريب في أنَّ نقل الفلسفة والمنطق كان أثره بليغًا في الفكري البلاغي والعلوم الأدبية، كما نجم عن ملابسة العرب للأعاجم نسق اجتماعي ظواهر اجتماعية منها ظاهرة الشعوبية و كراهية العرب، فانبرى أعلامُ الأدب للرد على دعاتها، بإبراز خصائص البيان العربي المتمثل في تراثه الشعري وخطبه، وفي القرآن، وأحاديث الرسول عليه السلام.

النسق اللغوي:

تشرب الفكرُ البلاغي منذ القرون الأولى نسقا لغويا ظهر أثره في تصورات اللغويين ودراساتهم، وجهودهم التي تضافرت بجهود النحاة، وارتباط اللغة بالنحو، والتقت بعض أفكارهم بفكرة البلاغة، التي تنهض على الوصول بالتعبير إلى درجات خاصة تأدية المعاني أداء متكاملا له مميزاته وخصائصه، فاللغة أداة التعبير عما يجول بالخاطر من المعاني، لذا توسعت تحليلاتهم ومباحثهم حول

الألفاظ وفصاحتها وتفاوتها في الحسن والقبح وتلاؤمها وتنافرها، وامتدت إلى قضايا بلاغية منها الإيجاز والحذف والتقديم والتأخير، وهذه الدراسات كانت زادا لعلماء البلاغة وعونا لهم في تطبيقاتهم، فآراء سيبوية كانت أساسا لكثير من التصورات الفكرية البلاغية، "وأفاد الرماني في دراساته اللغوية، وتطبيق هذه الدراسات على فصاحة الكلمة وبلاغة الكلام من الخليل بن أحمد،الذي نظر إلى البلاغة من زاوية الاستعمال والإنجاز، فكل قول أوصلك إلى غرضك؛ سواء أكان بليغًا أم غير بليغ، فهو في منظور الخليل بلاغة، كذلك أفاد ابن سنان الخفاجي (ت 466هـ) من أستاذه ابن جنى (392هـ) وملاحظاته البلاغية القيِّمة " [32] وممن برز لديهم هذا النسق عبد الله بن المعتز في كتاب البديع، وأشرق هذا النسق لدى عبد القاهر الجرجاني في كتابه أسرار البلاغة بتحليلاته الجمالية الدقيقة لأساليب البيان للشواهد ومقارنته بينها، وسيطر النسق كذلك ابن الأثير في كتابه المثل السائر الذي سار فيه على طريقة الأدباء في ذكر الشواهد وتحليلها اعتمادا على الذوق الفني.

المبحث الثالث: التصورات النقدية القديمة و الدرس اللساني

إن العلاقة بين التفكير البلاغي العربي وعلم اللسانيات علاقة امتداد وتفاعل، فليس ثمة شك في أن رؤية التفكير البلاغي العربي للمقام تقوم على بعدٍ معياري يهدفُ إلى الإبانة والإفهام، وتختلف غاية البعد المعياري بين غايتين هما الإبلاغ والإفهام وتمكين المعنى عند المتلقي، ومدار الأمر فيهما توزع الطبقية المعرفية للمتلقين بين خاصة وعامة، وغاية اللياقة ومراعاة المعايير الطبقية الاجتماعية، فالمناسبة والاقتصاد ومراعاة حال المخاطب ومقام التخاطب، و عددًا من النَّظرات والقواعد الخاصَّة بتنظيم نصوص معينة، تتفق مع كثير من مبادئ و مقولات اللسانية الحديثة.

فقد اتجه الجاحظ في كتابه البيان والتبيين إلى البحث عن الوظيفة البلاغية (البيان) للخطاب الأدبي، بوصفه خطابا يسعى إلى التعبير بأفضل أسلوب، وتحددت لديه القواعد التي تتيح الجودة أو الحسن في الكلام؛ ، وهي قواعد مستمدة من داخل الخطاب نفسه، وتتضمن مختلف عناصر عملية التواصل الأدبي، وهي المرسل، والمتلقي، والنص والمقام، ولكل عنصر وظيفته الخاصة في الخطاب، وتتحقق الوظيفة البلاغية في التأليف والنسج والسبك، وتتجاوزه لتشمل أنظمة التواصل المختلفة كالتعبير بالرموز كالسكوت و النصبة (الحال الناطقة من غير لفظ أو إشارة)، والإشارة (بالأيدي والأعناق والحواجب والمناكب والثوب والسيف وغيرها)، والعقد (الحساب باليد بدل اللفظ والخط)، والإشارة والخط (كل ما هو تخطيط من رسوم و رقوم و وسوم وخطوط)، واللفظ (الكلام المنطوق والمسموع).

ويقترب ابن سنان في دراسته لظواهر الفصاحة للخطاب الشعري مباحث الدرس اللساني، فقد انداحت فكرة تحليل اللغة الشعرية لتشمل البنية الصوتية باعتبارها مركزا أساسيا داخل الخطاب الشعري، فحدد الأصوات ومخارج الحروف وانقسام أصنافها وأقسام مجهورها ومهموسها، وشديدها ورخوه، وعالج حين ناقش الآراء حول الفصاحة كثيرا من القضايا والمسائل المرتبطة بمقاصد المتكلمين، ومدى وضوح الكلام والشروط التي يأتمن بها المتكلم في كلامه عن اللبس، وتخفف من الجهد الذي يبذله المخاطب في تأويل الملفوظ، للوصول إلى المعنى المقصود، مستعينا في طرح أفكاره بالشرح والتفسير وسرد الوقائع، والاستشهاد والاستقراء، وبيَّنَ أن الفصاحة والبلاغة لا تعودان إلى الدلالة اللفظية فقط بل إلى تأليف الكلام، وجعل مثال ذلك أن كل صناعة من الصناعات وكمالها بخمسة أشياء على ما ذكره الحكماء الموضوع : وهو الخشب في صناعة النجارة، والصانع وهو النجار، والصورة: وهي كالتربيع المخصوص إن كان المصنوع كرسياً، والآلة مثل المنشار والقدُّوم وما يجري مجراهما، والغرض: وهو أن يقصد على هذا المثال الجلوس فوق ما يصنعه. وإن كان الأمر على هذا ...وكان تأليف الكلام المخصوص صناعة وجب أن نعتبر فيها هذه الأقسام فنقول: إن الموضوع هو الكلام المؤلف من الأصوات.....، فأما الصانع المؤلف فهو الذي ينظم الكلام بعضه مع بعض كالشاعر والكاتب وغيرهما،..وأما الصورة فهي كالفصل للكاتب والبيت للشاعر وما جرى مجراهما، وأما الآلة فأقرب ما قيل فيها إنها طبع هذا الناظم والعلوم التي اكتسبها بعد ذلك...، وأما الغرض فبحسب الكلام المؤلف فإن كان مدحاً كان الغرض الذي يُنبئ به عظم حال الممدوح، وإن كان هجوا فبالضد، على هذا القياس كل ما يُؤلف"[33] فهو بذلك يرتب العملية النقدية من خلال الوعي بالمنطلقات وأسس الخطاب الأدبي من لغة وأصوات ومؤلِف بنظم الكلام ونص مؤَلَف(فصل أو بيت شعر)، ومرجعية ثقافية يختزنها المؤلف، وموضوع، وسياق ثقافي.

ومِن وضْعِ الألفاظِ مواضعها لديه" حسن الاستعارة[34] وجعلها على ضربين: قريب مختار وبعيد مُطرّح، فالقريب المختار ما كان بينه وبين ما استعير له تناسب قوي وشبه واضح، البعيد المطرح إما أن يكون لبعده مما استعير له في الأصل، أو لأجل أنه استعارة مبنية على استعارة فتضعف لذلك... وهذا الفن أورده المحدثون كثيرا وإن كان المتقدمون بدأوا به..وقد خرج علي بن عيسى ما ورد في القرآن من الاستعارة فكان من ذلك قوله تعالى: ﴿وقَدَمْنا إلى ما عَملوا مِنْ عملٍ فجعناه هباءً منثوراً﴾[35]لأن حقيقته- عمدنا- ولكن قدمنا أبلغ لأنه يدل على أنه عاملهم معاملة القادم يقدم من سفر لأنه من أجل إمهاله لهم عاملهم كما يفعل الغائب عنهم إذا قدم فرآهم على خلاف ما أمرهم به، وهذا تحذير من الاغترار بالإمهال. وقوله تعالى: ﴿إنَّا لَّما طغا الماءُ حَمَلْنَاكُم في الجاريةِ﴾[36] لأن

حقيقة طغى علا والاستعارة أبلغ، لأن –طغى –علا قاهراً، وكذلك ﴿بريحٍ صرصـــرٍ عاتيـــة﴾[37] لأن حقيقة عاتية شديدة، والعتو أبلغ؛ لأنه شدة فيها تمرد.[38]

وتلتقي الأفكار البلاغية لعبد القاهر الجرجاني مع كثير من مقولات الدرس اللساني، وأجلى كتابه دلائل الإعجاز عن فكرة النظم، وعنى بعناصر النص المختلفة من لغة ونحو وبلاغة، وتكاملـــت في دراسته مستويات النص المتراكبة ونال البناء اللغوي للنص جانبا أكبرا، " واعلم أن ليس الـــنظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه الـــتي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخلّ بشيء منها، وذلك أنّا لا نعلـــم شـــيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كلّ باب وفروقه"[39] ، كما يُولي أهمية كبيرة لعلاقة المعاني والألفاظ بالنظم، حيث يقول: " إنه لا يُتصوّر أن تعرف لِلّفظ موضعاً من غيرِ أن تعرَف معنـــاه، ولا أن تتوخَّى في الألفاظ من حيثُ هي ألفاظ ترتيباً ونظماً، وأنك تتوخَّى التَّرتيب في المعاني وتُعملُ الفكر هنا فإذا تمَّ لك ذلك أتبعَتها الألفاظ و قَفوت بها آثارها.وأنك إذا فرغت من ترتيبِ المعاني في نفســـك لم تحتج إلى أن تستأنف فكراً في ترتيبِ الألفاظ بل تجدها تترتَّب لك بحُكمِ أنّها خدم للمعاني وتابعٌـــة لها ولاحقة بها، وأن العلم بمواقعِ المعاني في النَّفُس علم بمواقعِ الألفاظ الدالَّة عليها في النُّطـــق" [40] ، و أشار عبد القاهر في نظريته النظم إلى "معنى المعنى" بقوله: "الكلام على ضربين: ضرب أنت تصلُ منه إلى الغرضِ بدلالة اللفظ وحده... وضرب آخر أنت لا تصلُ منه إلى الغرضِ بدلالة اللفـــظ وحـــده، ولكن يدلُّك اللفظُ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغُة، ثُم تجِد لذلك المعنى دلالةً ثانية تصلُ بها إلى الغرضِ. ومدار هذا الأمرِ على الكناية والاستعارة والتمثيلِ"[41] ، وأثبت في تحليله أن مزية استعمال المتكلم لبعض الأجناس كالكناية والمجاز طريق إلى إثبات المعاني وتمكينها وتقريرها لدى السامع بقول:" ليس المعنى إذا قلنا إن الكناية أبلغ من التصريح، أنك لما كنيت عن المعنى زدت في ذاته، بل المعنى أنك زدت في إثباته فجعلته أبلغ وآكد وأشد فليست المزية في قولهم: جَمُّ الرماد، أنه دل على قرى أكثـــر، بل أنك أثبت له القرى الكثير من وجه هو أبلغ وأوجبته إيجاباً وهو أشد، وادعيته دعوى أنت بها أنطق وبصحتها أوثق ، وكذلك ليست المزية التي تراها لقولك:" رأيت أسداً" على قولك: رأيـــت رجـــلا يتميز عن الأسد في شجاعته وجرأته، أنك قد أفدت بالأول زيادة في مساواته الأسد، بل إنك أفـــدت تأكيداً وتشديداً وقوة في إثباتك له في هذه المساواة في تقريرك لها، فليس تأثير الاســـتعارة إذن في ذات المعنى وحقيقته، بل في إيجابه والحكم به"[42]فيحيلنا بمثل هذه التحليلات إلى بعد تداولي يعـــنى بمقصـــد المتكلم إلى الإقناع والتأثير في السامع، كما بسط الجرجاني في نظريته لمسائل أخرى كالقيمة والسياق، وانتهى إلى مفاهيم في المجالات الصوتية والدلالية ذات أبعاد لسانية قريبة من الدرس اللغوي الحديث.

وينطوي كتاب مفتاح العلوم للسكاكي على أفكار ذات أبعاد لسانية، تُستشف من اهتمامه بدراسة علم الأدب من حيث أنه مجموعة القواعد التي يتشكل منها الخطاب الأدبي، وأن الإحاطة بـه وهو مفتاح يجمع بين البلاغة وسائر العلوم التي يمتاح منها الباحث "للاحتراز مـن الخطـأ في كـلام العرب"، وعنى بصياغة الكلام (صوتيا وصرفيا ونحويا ودلاليا وبلاغيا)، وبيَّن المعاني والأغراض البلاغية للأساليب، والمعاني التي يقصدها المتكلم المباشرة وغير المباشرة، ونبه لمبدأ القصـد ومبـدأ الإفـادة، وأوضح مسائل تخص الخطاب وأطرافه(المخَاطِب والمخاطَب)، واهتم بالمقام ومقتضيات نظم الكـلام، وبين أن لكل مقام مقال، وأشار إلى الأبعاد الفنية التي لا يخلو منها أي عمل أدبي.

ففي تعريفه للبلاغة والفصاحة تتبلور أفكارٌ تتبناها حديثا الدراساتُ التداولية، فهو يركـز على بلوغ المتكلم في تأدية المعنى حداً له اختصاص بتوفية خواص التراكيب وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها[43] ويعنى في تحديد الفصاحة بالسامع؛ فيخلص الكلام من التعقيد، " والمـراد بتعقيد الكلام هو: أن يعثر صاحبه فكرك في متصرفه، ويُشيكُ طريقك إلى المعنى، ويـوعر مـذهبك نحوه، حتى يقسم فكرك، ويتشعب ظنك إلى أن لا تدري من أين تتوصل، وبأي طريق معناه يتحصل، كقول الفرزدق:

وما مثله إلا مُملكاً أبو أمّه حيٌّ أبوهُ يُقاربه

أو كقول أبي تمام:

ثانية في كبد السماء و لم يكن كاثنين ثانٍ إذ هما في الغارِ

وغير المعقد هو: أن يفتح صاحبه لفكرتك الطريق المستوي ويمهده"[44]

وتتأسس فكرته عن الاستعارة على المحيلات العرفية التي تمثل معلومـات يتعـارف عليهـا المتكلم والسامع (أطراف الخطاب)، والقرينة لتعيِّنَ للسامع مقاصدَ المتكلم في حال اللبس وانتفاء الفهم والمتعارف عليه، يقول: " الاستعارة أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر، مدعيًا دخول المشبه في جنس المشبه به، دالاً على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به، كما تقول: "في الحمـام أسدٌ " ، وأنت تريد به الشجاع، مدعيًا أنه من جنس الأسود، فتثبت للشجاع ما يخص المشـبه بـه، وهو اسم جنسه ، مع سد طريق التشبيه بإفراده في الذكر، أو كما تقول :" إن المنية أنشبت أظفارها، وأنت تريد بالمنية :السبع، بادعاء السبعية لها، وإنكار أن تكون شيئاً غير سبع، فتثبت لها مـا يخـص المشبه به، وهو: الأظفار ، وسمي هذا النوع من المجاز استعارة لمكان التناسب بينه وبين الاستعارة.

اعلم أن وجه التوفيق هو أن تبنى دعوى الأسدية للرجل على ادعاء أن أفراد جنس الأسـد قسمان بطريق التأويل: متعارف، و هو الذي له غاية جرأة المقدم، ونهاية قوة البطش مـع الصـورة

المخصوصة؛ وغير متعارف: وهو الذي له تلك الجرأة وتلك القوة، لا مع تلك الصورة، بل مع صورة أخرى، على نحو ما ارتكب المتنبي هذا الادعاء، في عد نفسه وجماعته من جنس الجن، وعد جماله من جنس الطير، حين قال:

نحن قومٌ (مِلْجن) في زي ناسٍ فوق طيرٍ لها شخوص الجمالِ

مستشهدًا لدعواك هاتيك بالمحيلات العرفية، والتأويلات المناسبة، من نحو حكمهم إذا رأوا أسدًا هرب عن ذئب" أنه ليس بأسد"، وإذا رأوا إنسانًا لا يقاومه أحدٌ " أنه ليس بإنسان، وإنما هو أسد، أو هو أسد في صورة إنسان، وأن تخصص تصديق القرينة بنفيها المتعارف الذي يسبق إلى الفهم، ليتعين ما أنت تستعمل الأسد فيه" [45]

الخاتمة:

حاول البحثُ مقاربة الفكر البلاغي العربي وقراءة ما قدمه البلاغيون العرب من تصورات وآراء، وهو موضوع وإن كثرت الدراسات حوله سيظل باب البحث فيه مفتوحا للقراءة والاستكشاف، لأنه مطلب مهم وفائدة علمية جليلة، و يمثل العمق الثقافي والحضاري، وتوصلت الدراسة لجملة من النتائج أهمها:

اشتهر العربُ بالبلاغة والبيان، فهم أهل الفصاحة واللسن والأدب، يؤثرون الشعر ويُعد ديوانهم، ينقحون القصائد، ويعتنون باختيار ألفاظها ومعانيها، ويهتمون بالخطابة بمختلف ألوانها، وبإحسان الكلام والتفنن في تخير ألفاظه وسهولة مخارجه، وفصيح معانيه، وبيان دلالته وفحواه، وقد اضطلعت البلاغة العربية بعد الإسلام بجانبٍ كبيرٍ من تفكير أعلام العربية، واتجهت صوبها جهودُ النحويين وأربابُ اللغةِ لفتراتٍ تاريخيةٍ واسعةٍ وممتدة، تشكلت فيها المنظومةُ المعرفيةُ المتكاملةُ، وازدهر التقعيدُ اللغويُّ والتأليفُ النحويُّ، وصنفت المصنفات بغية تقويم اللسان وعصمه عن الوقوع في الزلل.

تجلت تحولاتٌ فكرية للتراث البلاغي العربي، من خلال إنتاج فكري بشري متنامي، ارتبط بقدرات عقلية وسياقات دينية وثقافية واجتماعية وسياسية احتضنته وحددت معالمه، منذ بداياته الأولى التي مثلت الإرهاصات المبكرة للوعي البلاغي، وتطورها ضمن التراكمات العلمية، والاتجاهات والرؤى التي عبر عنها المفكرون، والتي تجاوزت حدودها الزمنية.

برزت أنساقٌ راسخة في الوعي الجمعي العربي لها حضور كبير في الفكر البلاغي، أسهمت في تباين أفكار علماء البلاغة، وتعدد تصوراتهم و و توجيه مقاصدهم، وتحولات آرائهم، منها نسق اتصل بالخطاب، وصياغة المفاهيم واختيار التعريفات، وطرق بسط المسائل البلاغية التي شغلت اهتمام علمائنا القدامى، و نسق اتصل بمضامين الخطاب و المقاصد، مسئول عن توجيه علماء البلاغة العربية

نحو القضايا التي استأثرت باهتمامهم، وارتبطت هذه الأنساق الثقافية بالسياق الاجتماعي، والسياق الديني الاعتقادي، والسياق الثقافي الأدبي .

ثمة علاقة امتداد وتفاعل بين التفكير البلاغي العربي وعلم اللسانيات، فليس ثم شك في أن رؤية التفكير البلاغي العربي، أنتجت عددًا من النَّظرات والقواعد الخاصَّة بتنظيم نصوص معينة، تتفق مع كثير من مبادئ و مقولات اللسانية الحديثة.

الهوامش:

1 لسان العرب لابن منظور، دار صادر، ج11،ط1،د.ت، مادة فكر، ص210

2 القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ضبط وتوثيق: محمد البقاعي، دار الفكر، ط1995،1\1415هـ، ص413

3 سورة المدثر آية 21

4 سورة الأنعام آية 50

5 إشكالية الفكر العربي المعاصر، محمد عابد الجابري،مركز دراسات الوحدة العربية،ط 1،1998م، ص 51

6 السابق ص 51

7 لسان العرب،مادة بلغ ص 143

8 القاموس المحيط ،باب (بلغ) ص701

9 ينظر الصناعتين الكتابة والشعر، أبي هلال العسكري(ت359هـ)، تحقيق محمد أمين الخانجي، ،مطبعة محمود بك،ه1320هـ، ط1، ص6

10 نفسه ص11

11 الصناعتين، ص 8

12 مفتاح العلوم، السكاكي، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1، 2000-1420هـ ص 526

13 ينظر الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، الخطيب القزويني (ت739هـ)، تحقيق د.عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، ط1، 1996م1416هـ، ص 23-31

14 الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، محمد بن علي بن محمد الجرجاني726هـ، تحقيق د.عبد القادر حسين، دار غريب 2011م ط3،ص 38

15 ينظر إشكالية الفكر العربي المعاصر، ص51-52

16 سورة البقرة الآية: 23

17 البيان والتبيين ، الجاحظ (ط. الخانجي) (ت: هارون) المحقق: عبد السلام هارون مكتبة الخانجي ، ط7، 1418هـ 1998 م ج1، ص96

18 البيان والتبيين، الجاحظ، ج 1/ص36
19 علم البديع، عبد الله بن المعتز، دار الحكمة دمشق،د.ت، د.ط، ص58
20 نفسه ص2
21 نفسه ص 2
22 ينظر:الكتاب سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء أبو بشر الملقب سيبويه، (المتوفى 10هـ)تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، ط3، 1408هـ - 1988م ص2
23 ينظر المزهر في علوم اللغة وأنواعها: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي(المتوفى:911هـ) تحقيق فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية بيروت ، ط1، 1418هـ 1998، ص168
24 سر الفصاحة لأبي محمد عبد الله بن سعيد ين سنان الخفاجي المتوفى 466هـ، اعتنى به داود غطاشة الشوابكة، ط2006،1م- 1427هـ، دار الفكر عمان، ص 11
25 مفتاح العلوم، السكاكي، ص 432
26 مفتاح العلوم، السكاكي، ص: 161
27 مفتاح العلوم، السكاكي، ص: 162
28 لسان العرب، ابن منظور،دار صادر بيروت ، 1414هـ 1993م، مادة (نسق) ص352- 353
29 ينظر القراءة الثقافية ،د\محمد عبد المطلب ، المجلس الأعلى للثقافة ، ط\1- 2013م ، ص22
30 تأويل مشكل القرآن ، ابن قتيبة دار التراث القاهرة 1973م ط2 ص17
31 ينظر.خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، عبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ) تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 4، 1418هـ - 1997م ج3\10
32 ينظر أثر النحاة في البحث البلاغي ،عبد القادر حسين، دار غريب للنشر والتوزيع،1998م، ط1، ص30
33 ينظر سر الفصاحة ص 88
34 ينظر نفسه ص 113
35 سورة الفرقان آية 23
36 سورة الحاقة آية 11
37 سورة الحاقة آية 6
38 ينظر سر الفصاحة ص 114-115
39 دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجُرجاني ،ص92
40 دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجُرجاني ص 192
41 المصدر نفسه ص 177

42 دلائل الإعجاز ص 92

43 مفتاح العلوم ص 526

44 مفتاح العلوم، ص527

45 مفتاح العلوم، السكاكي، ص 480

المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم
2. أثر النحاة في البحث البلاغي ،عبد القادر حسين، دار غريب للنشر والتوزيع،1998م، ط1.
3. الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، محمد بن علي بن محمد الجرجاني726هـ، تحقيق د.عبد القادر حسين، دار غريب 2011م ط3.
4. إشكالية الفكر العربي المعاصر، محمد عابد الجابري،مركز دراسات الوحدة العربية،ط1،1998م.
5. الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، الخطيب القزويني (ت739هـ)، تحقيق د.عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، ط1، 1996م1416هـ.
6. البيان والتبيين، الجاحظ (ط. الخانجي) (ت: هارون) المحقق: عبد السلام هارون مكتبة الخانجي ، ط7، ج1 1418هـ 1998 م
7. تأويل مشكل القرآن ، ابن قتيبة دار التراث القاهرة 1973م ط2.
8. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، عبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ)تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 4، 1418هـ - 1997 م
9. سر الفصاحة لأبي محمد عبد الله بن سعيد ين سنان الخفاجي المتوفى 466هـ، اعتنى به داود غطاشة الشوابكة، ط1،2006م- 1427هـ، دار الفكر عمان.
10. الصناعتين الكتابة والشعر، أبي هلال العسكري(ت359هـ)، تحقيق محمد أمين الخانجي، ،مطبعة محمود بك،ه1320هـ، ط1.
11. علم البديع، عبد الله بن المعتز، دار الحكمة دمشق،د.ت، د.ط.
12. دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجُرجاني، شرح وتعليق د.عبد المنعم خفاجي، دار الجيل،ط1، 2004م \1424هـ
13. القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ضبط وتوثيق: محمد البقاعي، دار الفكر، ط1،1995\1415هـ.
14. القاموس الوسيط ، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004م،1425هـ.
15. القراءة الثقافية ،د\محمد عبد المطلب ، المجلس الأعلى للثقافة ، ط\1- 2013م ،
16. الكتاب سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء أبو بشر الملقب سيبويه، (المتوفى 10هـ)تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، ط3، 1408هـ - 1988م.

17. لسان العرب، ابن منظور،دار صادر بيروت ، 1414هـ 1993م، مادة (نسق).
18. المزهر في علوم اللغة وأنواعها: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي(المتوفى:911هـ) تحقيق فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية بيروت ، ط1، 1418هـ 1998.
19. مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1420هـ. 2000م